المحاضرة الرابعة:

الفساد الأخلاقي والفساد السياسي

1- الفساد الأخلاقي:

- **مفهومه:**

- هو "الخروج عن القواعد الأخلاقية الصحيحة، وغياب أو تغييب الضوابط التي تحكم السلوك، وانحلال البناء القيمي، وضعف الضوابط الأخلاقية في المجتمع"، وفساد الأخلاق: البعد عن القيم والمبادئ الدينية والاجتماعية القويمة، وتنافي الفطرة السليمة التي فطر الناس عليها.
- وهو أيضا "خلل في القيم الاجتماعية والأسرية، يصيب المجتمع بالتفكك، وتحلل الأخلاق وتفشي الرذيلة، وينعكس سلبا على العلاقات الاجتماعية، وهو أخطر أنواع الفساد على الإطلاق، ويراد به: الانحراف عن القيم الأخلاقية والسلوكية القويمة إلى الأخلاق الفاسدة والسلوك السيء." (مقال سليمان بن قاسم بن محمد العيد: الفساد الأخلاقي مظاهره وأسبابه، وأثره في الحضارات)
- كما يمكن تعريفه على أنه: حالة من الانحراف السلوكي والقيمي تؤدي إلى تدهور وعي الإنسان وانفصاله عن قدرته على تحكيم العقل الذي ميّزه الله به عن سائر المخلوقات. وينجم عن هذا الانفلات الأخلاقي استسلام الفرد لنزواته ورغباته، وتملصه من الضوابط الدينية أو العقلية، مما يؤدي إلى انحداره إلى أدنى مراتب السلوك الإنساني، وينتج عن ذلك تفشي مظاهر الرذيلة والفاحشة وانتشار الممارسات المنافية للآداب والقيم الاجتماعية.

- **مظاهره:**

تتعدد مظاهر الفساد الأخلاقي في المجتمعات المعاصرة، وتتخذ أشكالا متعددة تمس سلوك الأفراد وقيمهم؛ حيث يظهر هذا الفساد على شكل انحراف في الخطاب اللفظي وفقدان لضبط اللسان، من خلال انتشار فحش القول والألفاظ الجارحة التي من شأنها إضعاف التماسك الاجتماعي، والمساس بالاحترام الذي ينبغي أن لا يغيب أثناء التواصل الإنساني. كما يتجلى في ظاهرة التقليد الأعمى التي تفضي إلى تبني أنماط سلوكية دخيلة، مثل تشبّه النساء بالرجال أو العكس، مما يسهم في تمييع الهوية الثقافية والدينية للمجتمع.

كذلك، تتضح مظاهر الفساد الأخلاقي في المجاهرة بالمعاصي والتفاخر بارتكابها دون مراعاة للحياء أو القيم الأخلاقية، وهو ما يعكس تراجع الوازع الديني وضعف الضمير الجمعي. ويضاف إلى ذلك تفشي روح العداء والبغضاء والحسد بين الأفراد، الأمر الذي يولّد حالة من التفكك الاجتماعي والاضطراب في العلاقات الإنسانية. كما يظهر أيضا -الفساد الأخلاقي- في الرضا الضمني بالممارسات والسلوكيات المنافية للآداب العامة، وتبريرها تحت ذريعة الحرية الشخصية أو الانفتاح الثقافي، على الرغم من تعارضها مع الفطرة السليمة والمبادئ الدينية والاجتماعية التي تُشكّل أساس النظام القيمي للمجتمع.

- **أسبابه:**

يرجع انتشار الفساد الأخلاقي إلى مجموعة من العوامل المتداخلة، أبرزها:

1. ضعف الوازع الديني والتخلي عن إنكار المنكر.
2. فساد الضمائر وغياب الشعور بالمسؤولية الأخلاقية.
3. إهمال العلم وشيوع الجهل، مما يؤدي إلى انحراف الفكر والسلوك.
4. ضعف أو انعدام دور الأسرة في التربية والرقابة.
5. قوة الباطل وسطوته في ظل غياب القيم والعدالة.
6. تحجيم دور المساجد والمدارس ومؤسسات التربية في غرس القيم الأخلاقية.
7. سطوة الإعلام ودوره في نشر الفساد والترويج للانحلال الأخلاقي.
8. التبعية العمياء وخور الهمم، ما يؤدي إلى فقدان التمييز بين الخير والشر.

- **والفساد الأخلاقي في العمل:**

هو مجموعة من الانحرافات السلوكية والأخلاقية التي تصدر عن الموظف في حياته الوظيفية أو الشخصية، مثل ارتكاب تصرفات مخلة بالحياء داخل مكان العمل، أو الجمع بين الوظيفة وأعمال خارجية دون إذن رسمي، أو استغلال المنصب لتحقيق مصالح شخصية على حساب المصلحة العامة، أو ممارسة المحسوبية والمجاملات الاجتماعية دون مراعاة لمعايير الكفاءة والعدالة.

2- **الفساد السياسي:**

يعد المجال السياسي من أكثر القطاعات عرضة للفساد؛ لأنه يشكل النواة التي تنشأ عنها معظم أشكال الفساد الأخرى . ويرجع ذلك إلى أن المتحكمين في السلطة السياسية يمتلكون القدرة على اتخاذ القرارات الحاسمة التي تؤثر على حياة الأفراد والمجتمعات على حد سواء في المجالات المالية والثقافية والتربوية والإدارية... وعندما تترك هذه السلطة دون رقابة أو مساءلة فعالة، تصبح أداة للتحكم في المجتمع وتوجيه موارده بالطريقة التي تخدم مصالحهم الخاصة، مما يضعف أسس العدالة والنزاهة ويهدد استقرار النظام السياسي والاجتماعي.

- **مفهومه:**

عرفته هيئة الأمم المتحدة بأنه:" استغلال السلطة العامة لتحقيق مكاسب خاصة أو هو تغليب مصلحة صاحب القرار على مصالح الآخرين، فمتى تم تقديم المصالح الخاصة لصانعي القرار على مصالح العامة كان ذلك دليلا على وجود الفساد السياسي، ومن المؤكد أن جرائم الفساد السياسي رغم الضبابيات التي تغطي عليها، ورغم دعوات الشفافية التي تقف لها بالمرصاد، تظل محورا وعاملا من العوامل المساعدة على انتشار كافة أنماط جرائم الفساد الأخرى والجرائم التنظيمية."

كما يعرف أيضا على أنه " السلوك القائم على الانحراف عن الواجبات الرسمية المرتبطة بالمنصب العام، سواء كان هذا المنصب يتم بالانتخاب أو بالتعيين في سبيل تحقيق مصلحة خاصة، سواء أكانت هذه المصلحة شخصية مباشرة تتعلق بشاغل المنصب أو عائلية أو طائفية أو قبلية، و سواء أكانت هذه المصلحة تتعلق بمكاسب مادية أو غير مادية، و ذلك من خلال استخدام إجراءات أو الالتجاء إلى تعاملات تخالف الشرعية القانونية."

وهو كذلك "الخرق الواضح لقيم النزاهة في أداء الواجب الرسمي عن طريق استخدام اللاحق على أنه حق، وتحقيق الإثراء على حساب الغير، وعلى حساب المال العام، أنه استغلال النفوذ للاعتداء على قدسية القانون من خلال العلاقات الشخصية وقيم التمييز العرقية، بحيث تكون المحسوبية والمحاباة دليل عمل لأصحابه."

وعموما يمكن القول إن الفساد السياسي هو إساءة استعمال السلطة العامة أو الانحراف عن الواجبات الرسمية لتحقيق مصالح خاصة مادية أو معنوية، عبر تجاوز القانون واستغلال النفوذ والعلاقات الشخصية. وهو سلوك يقوم على خرق مبادئ النزاهة والمساواة، ويقود إلى تغليب المصلحة الفردية على المصلحة العامة بما يسهِم في انتشار أنماط الفساد الأخرى وللفساد السياسي عدّة مظاهر أهمها الحكم الشمولي الفاسد، غياب الديمقراطية، فقدان المشاركة، فساد الحكام...

- **أنواعه:**

ينقسم الفساد السياسي إلى عدة مستويات ترتبط بهياكل السلطة داخل الدولة، من قمة الهرم السياسي إلى القواعد الشعبية، وتشمل:

.1فساد القمة: ويعد أخطر أشكال الفساد، لأنه يرتبط بالقيادات العليا كالملوك والرؤساء والوزراء الذين يمتلكون صلاحيات واسعة تمكّنهم من استغلال السلطة لتحقيق مكاسب شخصية. هذا النوع من الفساد ينتشر عمودياً، بحيث تتسرب ممارساته إلى المستويات الأدنى التي تستظل بحماية القادة الفاسدين.

.2فساد الهيئات التشريعية والتنفيذية: ويشمل الفساد الذي يرتكبه أعضاء البرلمانات والوزارات الذين يستغلون النفوذ والحصانة لتحقيق مصالح شخصية عبر الرشاوى والعمولات وتسهيل التشريعات.

.3فساد العمل الانتخابي: ويتجلى في شراء الأصوات وتزوير الانتخابات في الأنظمة التي تجعل نتائج الانتخابات مفتاح الوصول إلى السلطة.

- **أسبابه:**

✓ **ضعف الشرعية والديمقراطية:**

يتمثل ذلك في فقدان النظام الحاكم لشرعيته وغياب التمثيل الديمقراطي الحقيقي في المؤسسات التشريعية، مما يجعل السلطة أداة بيد النخب الحاكمة واستخدام التشريعات لخدمة مصالحها.

✓ **تركيز السلطة وضعف الرقابة:**

يؤدي احتكار السلطة من قبل فرد أو مجموعة ضيقة إلى إضعاف مؤسسات المراقبة والمساءلة، خاصة مع ضعف استقلال القضاء وقدرته على ردع الفاسدين.

✓ **عدم الاستقرار السياسي وغياب الإرادة الإصلاحية**

تعاقب الانقلابات والأزمات والصراعات الداخلية يزعزع الجهاز الإداري، ويزيد الأمر سوءاً غياب الإرادة السياسية الجادة لمكافحة الفساد والاكتفاء بإجراءات شكلية.

✓ **الخلل الإداري والبيروقراطي**

يشمل تضخم الجهاز الإداري وتعقيد الإجراءات، وضعف الكفاءة القيادية، وانتشار المحاباة والوساطة، مما يخلق بيئة خصبة لاستغلال النفوذ.

✓ **العوامل الاقتصادية والاجتماعية**

مثل الفقر والجهل وتدني الرواتب وارتفاع تكاليف المعيشة، وهي ظروف تدفع بعض الأفراد للجوء إلى الرشوة أو استغلال السلطة، وتسهّل استغلال الفئات الضعيفة.

✓ **ضعف الشفافية وتراجع دور المجتمع المدني**

يتمثل ذلك في ضعف حرية الإعلام، وغياب الشفافية، وقصور مؤسسات المجتمع المدني عن ممارسة دورها الرقابي، مما يسمح بترسيخ ثقافة اجتماعية تتسامح مع الفساد وتشجّع استمراره.

- **آثاره:**

➢ **ضعف الديمقراطية وفقدان الثقة العامة:** يؤدي الفساد إلى تآكل شرعية الدولة نتيجة تزوير الانتخابات وتجاهل إرادة المواطنين، مما يضعف المشاركة السياسية ويهدم الثقة بين الشعب والسلطة.

➢ **تشويه صورة الدولة داخليا وخارجيا:** تتراجع مكانة الدولة ومصداقيتها دولياً، وينخفض الدعم الخارجي والمساعدات، وتصبح أكثر هشاشة في تعاملها مع القوى والشركات الأجنبية.

➢ **إعاقة عمل المؤسسات الإدارية وتعطيل الإصلاح:** يشلّ الفساد أجهزة التخطيط ويُفقد الإدارة فعاليتها بسبب مقاومة المستفيدين من التغيير، مع تفشي إساءة استخدام السلطة وتضخم البيروقراطية وارتفاع تكلفة الخدمات.

➢ **الإضرار بالاقتصاد الوطني:**

يساهم الفساد في زيادة العجز المالي، إضعاف النظام الضريبي، تراجع الاستثمار والنمو الاقتصادي، والارتهان المتزايد للديون الخارجية بسبب سوء الإدارة والاختلاسات.

➢ **تعميق الفوارق الاجتماعية وانتشار الحرمان:** يؤدي الفساد إلى اللامساواة في الحصول على الخدمات الأساسية كالصحة والتعليم، ويفاقم الفقر ويزيد حجم الفئات المهمشة، ويوسّع الفجوة بين الأغنياء والفقراء.

➢ **انهيار القيم وارتفاع معدلات الجريمة:** يزعزع الفساد الأسس الأخلاقية، وينشر السلوكيات السلبية واليأس الاجتماعي، ويؤدي إلى تفكك الروابط المجتمعية، خاصة مع تدهور التنشئة الأخلاقية لدى الأطفال.

ينظر:

بنعودة حورية: الفساد السياسي أسبابه أثاره، مجلة البحوث القانونية والسياسية

سليمان بن قاسم بن محمد العيد: الفساد الأخلاقي مظاهره وأسبابه وأثره في الحضارات، مجلة البحث العلمي الإسلامي